

أضواء البيان

@ 102 @ وَهَؤُلَاءِ يَخْلُقُونَ { وقوله تعالى : { الَّذِينَ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْمَ يَتَخَذُوا وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رُحِمَتْ قَدِيرًا وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهَؤُلَاءِ يَخْلُقُونَ } إلى غير ذلك من الآيات . قوله تعالى : { وَجَعَلْنَاهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّاهُمْ يَرْجِعُونَ } بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ وَلَمَّْا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَاْفِرُونَ } . الضمير المنصوب في جعلها على التحقيق راجع إلى كلمة الإيمان المشتملة على معنى لا إله إلا ، المذكورة في قوله { إِنَّا نَزَّلْنَاهُ بِرَأْسِهِ مِائِمًا تَعْبُدُونَ } إِلَّا الَّذِينَ فَطَّرَنَاهُ { لأن لا إله إلا ، نفى وإثبات ، فمعنى النفي منها هو البراءة من جميع المعبودات غير في جميع أنواع العبادات . .

وهذا المعنى جاء موضحاً في قوله { إِنَّا نَزَّلْنَاهُ بِرَأْسِهِ مِائِمًا تَعْبُدُونَ } . . ومعنى الإثبات منها هو أفراد في وحده بجميع أنواع العبادات على الوجه الذي شرعه على السنة رسله . .

وهذا المعنى جاء موضحاً في قوله : { إِلَّا الَّذِينَ فَطَّرَنَاهُ فِي رِجْئِهِ سَيِّئِينَ } . .

وضمير الفاعل المستتر في قوله { وَجَعَلْنَاهَا } . . قال بعضهم : هو راجع إلى إبراهيم وهو ظاهر السياق . . وقال بعضهم : هو راجع إلى تعالى . . فعلى القول الأول فالمعنى صير إبراهيم تلك الكلمة باقية في عقبه أي ولده وولد ولده . .

وإنما جعلها إبراهيم باقية فيهم لأنه تسبب لذلك بأمرين : . أحدهما : وصيته لأولاده بذلك وصاروا يتوارثون الوصية بذلك عنه ، فيوصي به السلف منهم الخلف ، كما أشار تعالى إلى ذلك بقوله : { وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ } إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّا لَهُ فِي الْآخِرَةِ لَخَيْرٌ مِنَ الْمَالِحِينَ } إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ